أصوات أدبية
١٢٦

الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلة من محار

شعر

حسن فتح الباب

٢ أكتوبر ١٩٩٥

مستشارو التحـــريــر

فؤاد حجازى
فاروق حسـان
د. احمد السعدنى
د. زكـريا عنانى

المراسلات : باسم مدير التحرير علي العنوان التالي
١٦ أ شارع أمين سامي –القصر العيني– القاهرة – رقم بريدي ١١٥٦١

أصـــوات أدبـــية

سلسلة إسبوعية

تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة

والأغانى وطن

بقلم الشاعر: **د. حسن فتح الباب**

بين الضوء الخافت المرتعش وبين الظل الشاحب كالأيدى المعروقة المنسدلة ولدت تجربتى الشعرية مرآة لحياتى فى أحضان العناة الصابرين من عشاق مصر المحروسة وأحباب النيل العذب الكوثر كما كنا نصفه فى الزمن الخالى. ومن أحلام الرومانسية وأخيلة الوهم الميتافيزيقية وجماليات الطبيعة الصامتة الحية وعذابات الحب المحروم وموسيقى الكون الغامض، كانت قصيدة الطفولة والصبا الباكر أول خيوط ما نسميه الإبداع على النَّوْل المقدس للحرف.

ويخيل إلىّ أن شعرى قد سبق اكتمال تكوينى حين تخلل «الجينات» جنبا إلى جنب الملامح التى ورثتها عن أبى، كما عرفت حين شببت عن الطوق، إذ كان قد تولى عنى معجلا مخلّفا مع هذه الملامح بضع وريقات غشاها شحوب الاصفرار كوردات صوّحت فى عز الشروق أو أوراد طلليّة بكت عليها مآقى الغيوم فى أمسيات خريفية. ولا أدرى حتى اليوم أكانت الأبيات

التى ضمتها تلك الأوراق قطرات من نبع أبى أم من تلك المنظومات التى كنت أحفظها بعدذلك فى المدرسة الابتدائية. ذلك أن أمى لم تحدثنى عنه إلا نادراً، ولم أشأ أن أنكأ جراحها.. كان من فئة الكادحين.. وكل ما عرفت عن مدى إلمامه بالعلم أنه التحق بالأزهر حين هجر قريته فى صعيد مصر بحثا عن فرصة عمل بالقاهرة، فأمضى حينا مجاورا بالجامع الأزهر، وأنه كان يرتل القرآن ترتيلا، وتغلب اللغة الفصحى والاستشهاد بالشعر على حديثه.

ومازلت لا أدرى أيضا ما إذا كانت بذرة الموهبة الأدبية والتوهج الشعرى مرجعها الى أبى أم إلى أمى إذا كانت الوراثة لابد أن تؤثر فى القدرات الإبداعية وأن تثيرها من مكمنها، فقد كانت أمى رحمها الله مرهفة الشعور، وكانت جدتها فيما تقول ترتجل الشعر الشعبى. أما جدى الذى كفلنى بيته فوقانى من ضياع اليتيم الفقير فى بطن الحوت فكان له أخ يهرف أكثر مما يعرف. ولكنه منحنى - نظير خدمتى إياه وشراء لفافات تبغ من «مصروفى» الضئيل لأقدمها إليه ولمحبته لى - بعض أسرار (الزير سالم ودياب وجساس وتغريبة الهلاليين)، إذ كان يحفظ كثيرا من الملاحم الفلكلورية تدخلنى كالمسحور فى عالم بعيد بهيج.

عرفت الشعر من هذه الينابيع الصافية الأولى على سذاجتها

بل لسذاجتها.. عرفت حين أتيح لى مقعد فى التعليم أن تلك السطور الذابلة التى أضاءت فى عينى يومئذ هى الشعر ذو الشطرين المتماثلين، وأن الأساطير التى شغف سمعى وبهر ناظرى بها صاحب «صندوق الدنيا» وجدى سيد هى جوهر الخيال الشعرى كما أدركت فى كبرى.. لقد فتحت لى مغالق عالم فسيح بهىّ ومشرق.. عالم الحب والرؤى.. عالم الرُّقَى التى تطمس حقيقتها قبح الواقع وتكسر نصله قبل أن يمزق الحنايا.. وتقلل من الشعور بقسوة العلاقات بين البشر.. فكانت أناشيدى التى أرددها كالمتصوفة وصلواتى فى محراب الفلك الدوارة.. أسلمت نفسى إليها دون مراودة، واستعضت بها عن مرارة الفقد والحرمان والاحساس بالملل والشقاء كلما أراد الطريق أن يضل بى.

وفى تلك السن الصغيرة التى لم تجاوز التاسعة بعد موت أبى تعودت أن اتسلل من فراشى فجرا حتى لا تشعر بى أمى، فأصعد إلى سطح بيتنا هناك فى ذلك الحى الشعبى القاهرى العتيق (شبرا)، لأشهد لحظة المولد العجيب.. وانتشى بالدهشة.. لحظة اختراق الساق الدقيقة لحبة قمح أو أذرة كنت قد دفنتها فى أصيِّص من الطين.. اختراقها لسطح التربة.. ولم يُقدَّر لى أبدا - بطبيعة الحال - أن أمسك بهذه اللحظة الكشفية رغم كثرة ما تسللت وتوسلت. ولكن العينين قد اكتحلتا بمنظر

النبتة وقد اشرأب عنقها فجأة ذات شروق. ولو كنت أحفظ حينئذ الآية (وأشرقت الأرض بنور ربها) لتلوتها خاشعا.

ولم أنْهَ أبدا حلمى الضائع، فمازلت حتى اليوم - وبرودة الشيخوخة تنخر عظمى - أحنّ إلى تحقق المعجزة: أن أشهد لحظة التكوين فى أدق الكائنات، ولعل هذا هو سر ما يقولون من ازدياد شعرى حرارة وتدفقا وتوهجا كلما مضت علىّ السنون الطوال.. إنه البحث عن المجهول، عن الكائن الحى الخفى، عن البراءة الأولى، عن الجذور النقية، والأمل أن تولد من رحم الأرض وتشرق تحت مظلة الشمس زهرة بيضاء فتعانق أعراس النور، الأمل أن أشهد مولد الإنسان الحق: مولد الحرية والعدل.

ومن وِرد العذابات والأحلام والأشواق التى كابدتها فى عهد الطفولة استقيت ماء الشعر، فغنيتها صغيرا ومازلت اكتوى بلهيبها كبيرا. فلا غرو أن تتفجر الينابيع التى ظننتها كامنة خامدة كلما انتكأ الجرح فى جسد الوطن - أفرادا أو شعبا - أو جسد الأمة أو جسد الإنسانية، فعانيته من أدق ذرة فى التراب إلى أبعد نجمة فى السماء، وأول ما يتفجر هو جراحات الطفل اليتيم القديم:

نفضت عنى كل ريشةٍ
لطائر الطفولة الذى
كان يغنينى قليلا

ويمنّينى طويلا
وكنت عاشقا غناءهُ
وزاهدا فى الأمنية
وحينما فارقنى
هاجت بىَ الذكرى
بكيت ما زهدته وما عشقت
جرَّدتُ صدرىَ نُسيمة عليله
نما به الصبار.. ما حزنت
كان رفاق «حارتى» لا يعرفون الورد
أودعتُ صدرى حزمةً من نار
نصبت فيه راية حمراء ما شفيت مرغليله
وكلما تألقت جوهرة من الندى تحت الشروق
وجمت.. أعشى عينىَ البريق
لأننى شاهدت فى مرآتها
عيون قطّاع الطريق

ومنذ البدء اتّشمت قصائدى برداء شفيف من الحزن، وكان كبيرا ومريرا.. أكبر من سنوات عمرى الذى تقدم وضيعتُه عبثا مجالدة الصخر الذى لا يلين ومحاولة الفكاك من الحصار، الحصار الذى لم يُطْبق فكيه حولى وحدى بل أطبقها على عنق الوطن والشعب كله، فلم يكن همى الخاص بمعزل عن هموم

هؤلاء الذين غنيت لهم وعنهم بلغة لا يفهمونها لأنهم لا يعرفون إلا أبجدية التراب: الخبز والملح:

الحزن كان موعدى مع الرفاق والسنين
وكان لحظة الغوايه
وروعة اليقين
الحزن كان موعدى وموطنى
أحرس فيه مُلْكِىَ العقيم
لأننى قامرت فى البداية
وقفت حين كان سيد المدينة
جلادها المغامر المشئوم
وحينما خيِّرت أن أقدم الذبيحَ
فدية لملكتى
ووجهك الحزين
لم اتردد.. صرت بعده اليتيم
وكانت النهاية
وكان حزنى أننى بلا ولد

والعبور القسرى من عالم الطفل إلى عالم الكبار وجدته فى قصيدتى (أنت وأنا) فى صيغة تراوح بين الواقع وبين الأسطورة والجو التاريخى والاستغاثة بالحب القادر بقوته ونقائه على انتشال السفينة الصغيرة الضحية:

تستيقظين في إهابي.. في دمي
ولا ألقاك، والحب الذي أرضعته كأنه
دمٌ شهيد
مضى عليه ألف عام لم يجف
يحلم بارتياد كوكب بعيد
ولم أكن من رائدي القضاء
وُلدت تحت عالم لم يُكتشف
ولم يكن له سفين
فلم أجد طفولتي

إنها العودة بعد لقاء المحبوب إلى الماضي لا كجنة موعودة وإنما كطفولة مفقودة، إلى الجذور والجرح القديم الذي (مضى عليه ألف عام لم يجف)، إلى «حارة المجدلي»، بين بهجة طفل الحب الكبير في حاضر القصيدة وبين مرارة اليتم لطفل الأمس البعيد، طفل لم يمت، فهو يحمل جناحا من نار خالدة يلقي ظله على الحاضر، لأن الحاضر ليس أقل كآبة ولا شقوة من الماضي، وما الحب البهيج لامرأة من غير عالمنا بقادر على تحطيم الأغلال التي يحملها الوطن ويحملها معه طائر الفينيق (العنقاء) المنبعث حيا من الرماد، لأنه حلم سرعان ما يصحو على هدير العاصفة تصفع شبابيكه المنسدلة الستور على اثنين يتناجيان، وحتى هذا الحب الحلم القصير يتحول الى ذكرى بعد

أن ذهبت به العاصقة. ففى زمن العذاب والتعذيب والقهر الجماعى والفردى لا يبقى إلا حب واحد ينكشف فى نهاية القصيدة.. إنه الوطن:

... وعاشق لم يعرف الطفوله
كان الصغار يؤذون كل فجر
ويكبرون فجأة فى الليل
وفجأة تدهمهم على رصيف الانتظار
حوافر المأساة والبطوله

...

ولم تعودى أنت بعدها ضل بك السفين فى فضائك الغريق
وكان ملاحوه يصرخون: لا انتظار
يموت من يقف
أما أنا فقد عرفت ذات يوم مركبه
تُقلُّنى إلى التراب
يا وطنى.. يا كوكبا لم يُكتشَف
لا تعترف
موطنها السحاب
وأنت سر الرعد والبروق
دمٌ شهيدٌ لا يجف
ينزف أمطارا.. ويلفظ الزَّبَد

منتظرا ضمتّها إلى الأبد

إلى الأبد

ضابط فى القرية

الإرهاصة بالشعر الحر فى ديوانى الأول «من وحى بورسعيد» قُدِّر لها أن تتجذر وتتطور حتى تبلغ أوجها فى قصيدة التفعيلة عندى منذ عام ١٩٥٧، ولم يكن هذا التطور الدرامى ليتاح لى لولا تجربة عاصفة خضتها وكانت أهم تجارب حياتى وشعرى. ذلك أننى بعد حصولى على شهادة اتمام التعليم الثانوى انتظمت فى سلك الدراسة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) سنة ١٩٤٢، حيث قضيت عاما دراسيا واحدا، ولكنى لم ألبث أن فارقتها الى كلية الحقوق مضحيا بسنة من عمرى، إذ أحسست يومئذ أننى ارتاد دربا مطروقا وكان طموح الفتى العصامى لا يقف عند حد. وواصلت دراسة القانون حتى تخرجت فى عام ١٩٤٧، وكنت قد اضطررت - تحت ضغط ظروف الأسرة الاقتصادية الصعبة - أن أعمل فى وظيفة حكومية خلال ذلك العام والذى قبله، مثلما اضطررت فى صغرى أن أمارس العمل فى مكتبة بشارع عبد العزيز فى حى العتبة الخضراء وكنت فى العاشرة من عمرى.

غير أن المشيئة الإلهية كانت تدخر لى طريقا آخر غير الحقوق وغير الآداب، طريقا لم يذهب خيالى يوما إليه، وهو أن

أصبح ضابط شرطة. ومن ثم حدث تحول جديد وجذرى فى مجرى حياتى، ولكنه هذه المرة أشد حدة. ولم أكن مكرها، فلقد أتيحت لى فرصة العمل مفتشا للتحقيقات فى إحدى الوزارات، وفرصة فى الوقت ذاته للالتحاق بكلية الشرطة فى قسم الليسانس، فاخترت الثانية، لا لما تغرى به فتى فى ريعان الشباب من مستقبل مرموق يعوض به بعض حرمانه القديم فحسب، وإنما لكى يدخل الفرحة إلى قلب امرأة ترملت فى زهرة العمر فكانت أمه وأباه، حين تراه يرفل فى زى الحكام تزين كتفيه النجوم، فيتحقق حلمها الذى راودها آناء الليل وأطراف النهار، وكأنها (پنيلوپ) التى مكثت أعواماً طوالا - كما تحكى الأسطورة الاغريقية - تغزل على نولها ثم تفك نسجها، وتبدأ من جديد حتى يعود البطل الحبيب.

ولكن سفينة الشاعر الضابط كانت منذورة لخوض أمواج عالية كالجبال، ورياح عاتية لا قبل لى بمقاومتها بأشرعة سفينتى الشاعرية وأجنحتها الرقيقة، فكانت مركبا للعذاب، وإن جاءت فى الوقت نفسه مشحونة بالإبداع. لقد أسندت إلىّ وزارة الداخلية رئاسة نقطة شرطة فى الأقاليم، فوجدتنى غريبا فى زى غريب بسبب تلك العقدة التاريخية المتأصلة فى أعماق الريفيين، وهى كراهية الشرطة باعتبارها ممثلة للسلطة التى طالما اغتصبت أرضهم التى رووها بالدمع والدم، وفرضت عليهم

الإتاوات، واختطفت الأبناء والآباء لتسخيرهم فى مزارع العثمانيين والمماليك والانجليز دون مقابل إلا السياط تلهب الظهور، وجندتهم فى حروب لاناقة لهم فيها ولا جمل.

لقد طاردنى الفلاحون الفقراء بنظرات صامتة ولكنها أشبه باللعنات رغم محاولاتى الدائبة أن أقنعهم أننى ماجئتهم إلا للحفاظ على أمنهم ودرء الجرائم عنهم:

شربتُ أحزانَ القرى، لم تتَّبعنى
لم أكن بتابعٍ أمين
كان ردائى صفرةً نزفتُها
من عَرَق السنابلْ
ولم يكن لخطوتى التى جهدت كى تلينَ
غير أصداء السلاسلْ

وهكذا أشعل التناقض بين مهنتى كضابط شرطة وهويتى كشاعر خرج من صلب فقراء مصر شرارة قصيدتى (ضابط فى القرية) ١٩٥٧ وكثير من القصائد التى تضمنها ديوانى الثانى (فارس الأمل) سنة ١٩٦٥. كما تغنى هذا الديوان بالانتفاضات والثورات وحركات المقاومة فى الجزائر وفى فلسطين والعراق والأردن وفى أمريكا اللاتينية، فرثى أبطال الحرية الشهداء، وأشاد بالمناضلين الأحياء، فى نسيج شعرى كتب عنه الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى يقول: (يتمكن الشاعر

حسن فتح الباب فى أداء قصائده من التجرد من التقريرية، والابتعاد عن الخطابية والتأدية الصخابة المثيرة، وهى العيوب الشائعة فى شعرنا السياسى والنضالى. إن قصائده تكتب نفسها بنفسها).

دواوين من وحى الرحلات

بعد طواف طويل فى أقاليم مصر أوفدتنى وزارة الداخلية سنة ١٩٦٥ فى بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة وسائل مكافحة الجريمة، فرأيت وسمعت ووعيت، وكتبت ديوانى الثالث «مدينة الدخان والدمى». وقد عبر الصحفى الروائي صلاح حافظ عن هذه التجربة بقوله: (لقد عاد حسن فتح الباب من أمريكا فزعاً مما رأى، وخائفاً من السلطة بالمفهوم الذى لمسه هناك. فكان طبيعياً وهو يترجم رحلته إلى أبيات من الشعر أن يغنى بلهجة الخائفين، وأن يتعاطف مع الغرباء والهاربين.. إن الفزع من سرطان السلطة كما عاد به حسن فتح الباب لا يمكن أن يكون فزع ضابط، وإنما هو فزع شاعر حقيقى بكل معنى الكلمة، فزع رجل ينبض الشعر فى عظامه، ولا يحاول على الإطلاق أن يفتعله، واللهجة التى يغنى بها لهجة رجل مطارد لا رجل يطارد الآخرين. ولأنه شاعر فإن الإيمان بالإنسان يجد طريقه بين أبياته من خلال الضباب والأسى.. هذا الشاعر العذب الحزين).

ويبتسم لى مرة أخرى طالع الإبداع الشعرى المستلهم من السفر خارج الوطن، إذ أرانى سنة ١٩٧٠ على ربى بيروت فى صحبة وفد المحامين المصريين باعتبارى من أبناء كلية الحقوق بيتنا وأمُنا التى وهبتنا للدفاع عن أصحاب الحقوق المهضومة وعن الحرية والعدل الاجتماعى، غير أن فرحة النص الإبداعى قد تنبثق من مرارة الواقع، وكان هذا الواقع هو مأساة الفلسطينيين الذين لجأوا إلى لبنان، فليس لهم إلا المخيمات مأوى فى قيظ الظهيرة وفى زمهرير الشتاء وعواصفه بعد أن طردهم أحفاد يهوذا من أرضهم واغتال وطنهم وحاول وما زال يحاول أن يزوِّر تاريخهم.

مسرات التنقل بين الروابى الخضر تعلوها أشجار الأَرز والصنوبر الباسقة وشجيرات الزيتون المونقة والوجوه النضرة، ذابت فى تلك المأساة التى زلزلت روحى، وأشعرتنى مرة أخرى بمرارة العجز عن تغيير الأمر الواقع المفروض على اللاجئين بأشعارى التى لا تروى غُلَّة طفل صادٍ ولا تشبع من جوع. ومن ثم امتزجت الأشجان الفلسطينية بجماليات المكان متمثلا فى الطبيعة اللبنانية. ومن تلك الرحلة بل منذ استشهاد البطل عبد القادر الحسينى فى معركة القسطل على الأرض المقدسة فى ٨ أبريل ١٩٤٨ ومرثيتى له التى ضمنتها ديوانى الأول، غدت المقاومة دفاعاً عن فلسطين وتراً أساسيا آخر فى قيثارتى بعد

الوتر الذى عزفت عليه معاناة الفلاحين والصيادين والثوار المناضلين فى ديوانى الثانى.

وقد أتيح لى بعد ذلك أن أشهد مدينة السويس التى دمر العدو بعض أحيائها الجميلة و(خط بارليف) الذى اجتاحه جند مصر فى الضفة الشرقية لسيناء خلال فترة الهدنة التى أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأوحت إلىَّ تلك المشاهد والمشاعر التى غمرتنى بديوان (حبنا أقوى من الموت) الذى صدر فى مطلع عام ١٩٧٥ وكتب عنه الدكتور رشاد رشدى قائلا: (بهرنى شعر حسن فتح الباب بطابعه الفنى والإنسانى. إنه شاعر عالمى بكل المقاييس).

الوردة والمواويل

كانت هجرتى إلى الجزائر فى نوفمبر ١٩٧٧ منعطفا حاداً فى حياتى وعلامة فارقة فى شعرى. فقد تضاعفت الغربة، واشتدت رياح المقاومة للنذُر التى تمخضت عنها الزيارة المشئومة للقدس ثم عقد اتفاقات كامب ديفيد، فشاركت فى العمل السياسى الوطنى والقومى دون أن أتورط فى تنظيم سرى. وتزايدت أعبائى بين تدريس القانون بجامعة وهران وتعريب أبناء الجزائر وبين شواغل الأدب والنقد والإبداع الشعرى. وفى ظل المنفى الاختيارى كسرت كوابح القلم فأفصحت عبر الوسائل الفنية عما كان مضمراً فى قصائدى قبل

الرحيل إلى وهران. وكان ديوانى «وردة كنت فى النيل خبأتها» الذى صدر فى تونس فى ديسمبر ١٩٨٥ الثمرة الأولى لتلك التجربة. وأعقبه ديوانى «مواويل النيل المهاجر» الذى نشر ١٩٨٧ قبيل عودتى إلى أرض الوطن.

وكانت جل قصائد هذا الديوان امتداداً لسابقه وتنويعاً على لحنه الأساسىّ والباقى تصويراً لمشاهد من مدينة بودابست التى قضيت بها شهرا وبعض شهر فى أثناء العطلة الصيفية، وفيها رأيت النيل مشعاً على نهر الدانوب الذى ألهم «شتراوس» أعذب أنغامه. كما رأيت طيفىْ الفدائيتين «دلال المغربى» و«سناء محيدلى» يصبغان أمواه هذا النهر الأوربى بلون الورد والشفق والدم ممتزجاً بألوان للطبيعة والنفس والناس، للحب والموت، للماضى والحاضر والآتى، وحدة واحدة من المتشابهات والمتناقضات زماناً ومكاناً وإنساناً.

وتعاقبت مجموعاتى الشعرية، فصدر لى ديوان «أحداق الجياد» سنة ١٩٩٠، وهو تنويعات على قصيدة «ضابط فى القرية» وقد حصلت به على جائزة البابطين للإبداع الشعرى، ومن أبرز التقنيات الحديثة فى هذا الديوان تلك القصائد القصار ذات الشحنة الدرامية المتفجرة، إذ جاءت ومْضية أشبه بالإشارات لشدة اكتنازها واتساع دلالاتها وعمقها. وكان آخر دواوينى المطبوعة ديوان «كل غيم شجر.. كل جرح هلال» ١٩٩٣.

محاكمة الزائر الغريب

كان حلمي القديم أن أدخل عالم المسرح الشعرى عوداً على بدء، إذ كتبت فى مطالع الشباب مسرحيتين مستلهمتين من الميثولوجيا الفرعونية وهما (أوزوريس) و(اخناتون). ولكننى فى مسرحيتى الأخيرة التى نشرها اتحاد الكتاب العرب فى دمشق بعنوان «محاكمة الزائر الغريب» استدعيت من التراث العربى شخصية حية فى وجداننا بإبداعها وشموخها، وهى شخصية المتنبى الغنية بالتجارب وروح المغامرة فى سبيل تأكيد الهوية وتأصيل الانتماء القومى فى عالم الصراع بين النقائض، ولتحقيق حلمها بالحرية والعدل والكرامة، فى مواجهة نماذج بشرية من عصرنا متباينة المشارب والمذاهب والمصالح السياسية والاجتماعية، يحاكمها المتنبى وتحاكمه.

ولى ديوانٌ تحت الطبع الآن فى دمشق بعنوان «الخروج من الجنوب»، وإذا كان فى العمر بقية فإننى أمل أن اتابع مسيرتى الفنية متفرغاً للمسرح الشعرى بوجه خاص، إخلاصاً لفن العربية الأول فى صيغته الدرامية، وإيماناً بدوره فى ترقية الوعى الاجتماعى والجمالى للفرد والجماعةوانقاذ إنسان العصر وخاصة فى الوطن العربى من آفات الاستلاب والقهر وتشويه الروح.

سلة من محار

في اللانهائيِّ الصدى
مباغتا يغزو المدى
صوتُ الحنين المغتلِي
جمرا من الندى
يصحو على غفْو الغمام المستهام

-.-

بين الهدير والهديل
ينطفيء الوقت
ترنيمةٌ تحول
قيثارةٌ للصمت
جناح طيف لاينام

-.-

غمائما على الضحى حرَّى
تنتفض الذكرى
حمائما حيرى
علي جداول الغروب
والحب طفل شارد غريب

-.-

يا للسكون المشتهى
نجمان منذوران للمغيب

خلف مرايا القمر المجتلَى
مستعليا لم ترْقه أقدام
نشوان لازمانَ لا مكان
-.-
الفَلك الدّوار
يقطف وردة الأوان
يودعها حديقة الأسرار
والليل مضفور الرؤى
شجى.. منى.. تذكار
-.-
الريح والموج كوكبان توأمان
يستيقظان..يغفوان
ينحدران..يعلوان
لا الروح تقوى أن تطاول المدى
ولا دمي سارٍ.. يعانق الصدى
-.-
غيم ولاظلٌ .. قمر
يلهو بسلة المحار
ينبلج الستار
عن شاطيء من زبَد البحار

الاسكندرية ١٦ اغسطس ١٩٩١

تباريح النخيل

تحت ضياء المنحنى
ظل لعاشقين
إن هي إلا صيحةٌ.. سحابةٌ
وافترقت شطآن
واحترقت كفان

-•-

الفُلك ينأى.. والزمان
مراود يدور بالربان
مجدا .. هوًى.. هوان
عصفا من النيران
وانشطر البحران

-•-

الغيم كان
طيفا تجلى قطرة فقطرةً
سنبلة وزهرةً
لما هوت جدائل الشمسِ
تفجر الكُباب عن رمسِ

-•-

السندباد يَنصب الشراع

لكنما اليراع
يسيل دمعة فدمعةً
وليلنا يليق بالسهاد
ويبدأ الرحيل شمعة فشمعةً

-.-

نوح بلا أفْق ولا مقيل
لاصمتَ..لاضجيج
إلا غلائل الضحى
أغفت على صدر المروج
تشكو تباريح النخيل

سبتمبر ١٩٩١

الفجــر

تشابه السجان والسجين
الطاعن الطعين والسكين
أقنعة الأسطورة المجسَّده
في أبحر من مرده
ومارج من طين

-•-

يا أيها الناجون
من جبل الطوفان
تزاحمت غوائل المنون
في شاطيء الأمان
فاستبشروا .. لاوقتَ للأنين!!

-•-

هذا أوان الغيث والنشور
فأسقطوا الحداد
اليوم قوم(عاد)
تناثروا .. فاستفتحوا وانتشروا
الفجر عاد

-•-

مجلى الجياد مرتع الصقور

تناوحا واسّاقطت جسور
غانية ومعبد مسحور
وعسكر الأمير
عبء السجون والقبور
-.-
عن عنق الضحية
تهوي يد الجلاد
حسامه انثلم
والأرض غصت بالملأ
لم يكذب النبأ
-.-
وقيل يا أرض ابلعي
وياسماء أقلعي
حيٌ على النجم الوليد
المُلك للعُناه
والرجم للبُغاه

٢٠ سبتمبر١٩٩١

أسـاطير

لاحيٌّ ..لاجمادَ.. لا عراء لاسكن
تشاكلت أضداد
شاهدت أشباح العصافيرِ
حُمر اللحى أشلاء ناطورِ
واستذأبت حِملان

—.—

تفترش الجرذان قبر الفيله
والكلب باسط ذراعيه يناغي القرده
للماء صوت الناعب الرجيم
للخضرة الحواء صفرة الهزيم
والعنكب الأحدب ذو الوجه الحسن

—.—

تشابهت بلاد
وعدت وحدي شاردا
مغتربا .. موحدا
وطن
وطنْ

—.—

ياوطني طيف كَرَى أنت

أم أنت لي تميمة

تنقذني إذا دعوتْ

آوي إليك إن غرقتْ

يطفو بنا الطوفان إن صرخت

٢٢ سبتمبر ١٩٩١

الكرى : النوم .

خبز وأوراد

حين دفنتُ بذرتي
ستين عاما ما جنيت
إلا حصادا من جحيم جنتي
أوهام فارس عقيم
ضلت خطاه فامتطى الغيوم

-•-

تعانق الشيطان والملَك
في قلبيَ الشجي
وعاد بي آدمنا الطينيّ
يقول لي: من أين جئت
بخرقة الصوفّي؟

-•-

هذا زماني سارب بي مرتهن
يغزو دمي بصيحة الآتي
لا قهرَ لا أضغاث أمواتِ
ضاقت فجاج الكون إلا عن هوى
بنار مظلوم وثأر ممتهَن

-•-

مسافر ما طاب لي زادي
خبزي وأورادي
للطائر الغادي
يامن يزورنا بِليلْ
هيىء لنا السرور وانفِ الويل

٢٣ سبتمبر١٩٩١

عود على بدء

في زمن الطاغوت
يستنسر النعام
يزوِّر التراث
يصيح أبناء الخنا: يا إفك
المجد والبهاء لك!!

-٠-

في زمن المرتزقه
يؤكل لحم الشهداء
ورأس (يوحنا) الوديع والحسين
ملاعب الفرسان واللصوص والكهان
على الأرائك المتوجه

-٠-

في زمن الأجنَّة الغرقى
تطفو على هام الجيف
شراذم الفئران والخوَّان
مغامرين حمقى
أن يدركوا إعادة التكوين

-٠-

على أسنة النعوش والحراب
يضطجع الطغام والطغاه

يستيقظون يَعْتَلُون يحلمون
بالمنّ والسلوى
تسابق الفهود والذئاب

-.-

على أسنة النعوش والعروش
يستيقظ الموتى العبيد والإماء
يعود كل طائر لجنسه
كأنما لم تنتفض عنقاءَ
من ربقة الرماد والشقاء

-.-

من بعد ألفين من السنين
عَود إلى الطوفان لا نوحٌ ولا سفين
يا حسرتا على العباد كلما أتى مصدقٌ
من القرى كانوا به يستهزئون
عود على بدء الجنون

-.-

يُصلب ركبُ الحكماء
يصّاعد الروحُ الأمين
تدنو السموات العلا
أقمار حب
ويستضيء الركب

٨أكتوبر ١٩٩١

ثلاثيــة

القصر والكاهن والسجان
أسطورة الأحياء والموتى
جسدها الشيطان والإنسان
ثم استراحا تحت قبة الفَلك
وأترعا الكئوس من دم الملَك

الفأس

فوق ظلال المقبره
يختال شدو القبُّره
تنساب أفعى.. ذئبة.. حرِباء
لكنما الحطاب
يعرى ولايبتاع بالفأس كساء

الفصول

يستعر الرماد في مدفأة الشتاء
لكنما دفء الجياع.. زادهم إن عز زاد
أكباد قاتلهم الأوغاد
ويل لورُّاد الربيع
إذا تفجر الغدير بالدماء والدموع

٢٠ مايو١٩٩٣

الديباج

النطع والسياف خلف الباب*
والثعلب الفقيه في الديباج
مهرولا منتصرا للتاج
فمن ترى يحذر (الحلاج)
من طعنة الحقيقة النجلاء؟

-.-

الجاحظ

تنتفض الأسفار في الرفوف كلما**
فضت يد (الجاحظ) أغلالها
أغراه ما استوحاه من سرها
فأسلم الروح على صدرها
فدًى لما أَوْلته من بحرها

٢٣ مايو١٩٩٣

---

* النطع بكسر النون وتشديدها وسكون الطاء : قطعة الجلد التي تبسط للمحكوم عليه بالقتل بحد السيف

** الأسفار : جمع سفر (بكسر السين) وهو الكتاب الكبير.

خطاب المتنبي

١ - القضاء

سئم الشاعر من طول السهاد

قائما يرنو إلى أمواه دجله

يا (أبا الطيب) كم يقسو القضاء

لا(بنو حمدان) عادوا للجهاد

لا ولا (كافور) أردته المذله*

٢- الصفقة

يا (أبا الطيب) ما زلت نبيّ الغرباء

عشت صخرا عدت صخرا فلماذا**

صاحبو الحرف يبيعون شباة القلمِ***

ويبيتون مطايا لوليّ النعمِ

وعرايا تحت سِترِ الدرهمِ؟

٣- الحجر العاصف

حطم التمثال واخرج لترى

كيف يُغتال جهارا عاشقوك

فلعل الحجر المنحوت من قلبك يغدو

---

* قضى عليه الذل والهوان

** إشارة إلى تمثال المتنبي

*** صاحبو الحرف: الكتاب والأدباء، وشباة القلم: سنه .

عاصفا يمحق ركب السفهاء

بأيادي فتية (الضفة) و(البوسنة) أبناء الفداء*

٤- بعد الشتات

أيها الصالي بنار الأشقياء

من بني الأم الأشقاء العداه

لايزالون شتاتا فإذا

هتف الداعي، تنادوا: فلنذد

عن حمانا أو لنسقط شهداء

٥- هذا الزمان

كيف لو أدركتَ عصر المارقين

وزمانا عز فيه البرره

ورأيت القبة الزهراء والركن الأمين

في إسار القاتلين الجبناء

وطبول الصمت تغشى الراكعين الفجره!

٦- الميزان

وئد الحلم الذي عشنا قرونا

يا (أبا الطيب) وانجابت ستور

عن نعام لأعادينا وآساد علينا

---

* المقصود الضفة الغربية المحتلة في فلسطين ودولة البوسنة والهرسك التي يجتاحها الصرب المغتصبون بالبلقان.

كم قرونٍ مرة أخرى ستمضي
قبل أن يعتدلَ الميزانُ والأرضُ تدور

٧- الجبل

لم تلن- رغم الذي نالك أو نلت- قناتك
كيف يحني جبلٌ هامتهُ؟
كم جنيت العسل المر رحيقا
وأحلت الشوك وردا وبريقا
لا كبرق الخادعين الخانعين

٨- البوق

كلما أوقدت نارا في الصدور
كي ترد الروح للمضني هوانا فيثور
أطفأوها، وإذا أطفأت بغضاء السعير
أشعلوها فهم الركب الضليل
أيها النافخ بوق المستحيل

٩- الغريب

لست بالآسي العليل
لا ولا الحادي القوافي للسراب
فلماذا جئتنا مثل الغريب
وتواريت سريعا كالشهاب
أترى أفزعك الداء الوبيل؟

١٠ - الفسطاط

بالذي أسرى بواديك إلى نبع الخلود
ما ترى(الفسطاط) والساقية الظمأى تدور
وعناقيد على عهدك ما كانت لتفنى
وأجيراً بين عرى وفضاء يتغنى
ما ترانا بعد أن عدت إلينا؟

المعز

ما الذي يمسك بالروح فلا تهوى رقاب البائسين
قد مضى ألف(معز) ومهين
غير أن السيف باق والذهب
والذي لايرتضي ملك (يزيد).
ماله دون المنايا من محيد

مصير

في ضمان الحاجب اللص وكيد الحاشيه
يهرع القوم زرافات ووحدانا خفافا وثقالا
وتسير القافله
لا عواءً لاثغاء لا زئير
بغتةً ترتد أعناق ويجتاح مصير

الزوبعة

فجأة تخمد أعراس الهنود الحمر تهوي الأقنعه
تتهاوى الزوبعه
كل ما كان عظام نخره
الأفاعي تتوارى ويولى السحره
والألي استعلوا يزورون القبور

البعث

حينما يُرْخَي ستار المسرحيه
يغسل الطاغية العبد يديه
من دم الحرية العذراء والورد الضحيه
ثم يأتي بعده خَلق جديد
يُسقِط الغصن ويُعلِي البندقيه

٢٦ مايو١٩٩٣

أوزوريس

ليس منزوف الصدى في الشرق إلا
شدو شادوف وترتيل يمام
والذي في الغرب مجلى (أوزوريس)
هائما فوق سموات النخيل
بين (حوريس) و(إيزيس) البتول

الفلاح الفصيح

نحن من أيام (قابيل) و(ست)*
نتفانى غير أنا لم نمت
لم يزل صوت لفلاح فصيح
تحت سوط لمماليك وسيف
هاتفا بالنيل: صبرا لاتقف

الكوثر

أيها النهر سلاما لاتجف
فلقد كنت وما زلت وتبقى (الكوثرا)
كل أنهار البرايا في مصب للبحار

* ست: إله الشر قاتل أخيه أوزوريس في المثيولوجيا الفرعونية، وهي تروى أن زوجته إيزيس جمعت أشلاءه المتناثرة فنبت فيها الروح وكان بعث أزوريس وإنجابه ولدهما حورس.

تتلاشى غير أمواهك أنت

تشرب الملح وتبقى تتحدى الأنهرا

طائر الفينيق

ذلك الطير الخرافي النداء

طيف أحزان وإيقاع نذير

غير أن الشجن المر بشير

بقيام الطائر المسحور من قلب الرماد

إنه(الفينيق) حلم وانطلاق وفداء

وردة الشروق

أينا يمضي جريحا عاريَ الصدر مشُوقا

لمزيد من جراح

ترتوي الوردة منه والصباح

ويسيل الغسق الدامي بروقا

تغسل الأرض من الأدران تنجاب شروقاً؟

رغيف الجمر

أينا يرضى رغيف الجمر زادا للوطن

والأغاني ذكريات للعذاب

ومواويل على النيل قرابين شجًى؟

أيها الساقي اسقنا ثم اسقنا

ليس عن موت النشاوى في هوى مصر غنى

عبير البرتقال

هذه الأنسام أرواح لأجساد هوت

تحت أهرام وحفر لقناة ومعابد

فإذا ضمَّخ وادينا عبير البرتقال

عادت الأيدي تشق الصخر، قام الشهداء

يتباهون بأحفاد ميامين وأغراس نمت

٣٠ مايو١٩٩٣

المحبون القدامى

ينحني الصفصاف للريح ولاينكسر الغصن الندي
من مياه النيل أجسام محبيه القدامى
ليس يقوى شانئوهم أن يحيلوا الماء موتا
كلما أشهر ذئب نابه حقدا ومقتا
صيَّروا النيل تماسيح فولت كالخفافيش الذئاب

المرايا

هذه الأجساد لاتبلى وإن غابت تراءت شجرا
ياسمينا للمحبين وأضواء مصانع
ومرايا من عيون وشفاه وأنامل
للصبايا وجدائل
وأراجيح لأطفال وأظلال خمائل

أهازيج القرى

يا أهازيج القرى كم ترحمين
مهجا ناءت بأعباء السنين
كلما جدَّت جراحاتٌ ترقرَت منِّي
وصبابات وإحسانا وذكرى
فإذا ليلتها الظلماء رؤيا من حنان وحنين

قطرات

قطرة الضوء من البلبل في الليل بشارات الربيع
حبة التوت مذاق الساحة القمراء والشمل جميع
حبة القمح قيام لصلاة الفجر من قبل العناء السرمدي
قطرة النيل معين الساعد المضني وأفراح الحصاد الذهبي
فإذا ما انتهب الباغي عطاء النهر جاءتهم سواقيهم بري من دمعْ

المريدون

يطلع الريحان من أنفاس عشاقك يا نيل ويخضر الحجر
يابلادي لك ما فاض به القلب وأكثر
كل لحن غير ما غنيتِ تهويمة سادر
أيهاالتاريخ فلتصدح طبولاً ومزاهر
للمريدين أسارى عشق مصر

الرحلة

كل نجوى غير نجواك تعلاّت ووهم
يابلادي لا يشب صفوك في الأسحار غيم
لا ولاتنزل بواديك تباريح الشقاء
قد كفاك اليوم ما أضناك أمس
رحلة العاني وليل الغرباء

الجوقة

نحن أبناء المواويل الشجيه
ما سجاليلٌ وما اختال قبس
فإذا الصبح تنفس
قام محراث وشادوف وفأس
جوقة تنشد لحن الأبديه

السر

وإذا ما باح بالسر الدفين
صدر حرٌ مُجْتَبى في العالمين
ملأ الرحبَ عواءُ المرجفين
حُمُرا مستنفره
فزعت من قسوره
ثم خرت كعظام نخره

١ يونيه١٩٩٣

السنابل

حين تمتد غصون الكرم والأذرة يستخفى الشبح
تكتسي الريفية العذراء في أطيافها ثوب الفرح
تتعالى دعوات الأمهاتِ
أن يردَّ الراحم الرحمنَ غيلان الجباةِ
وتهاوى سنبلات القمح نيرانا عليهم ومقاصل

النـواعيـر

النواعير هديل ونباح ونواح
ذابت الأصباغ عن وجه المهرج
وانقضى السامر فالسر مباح:
بدم حرٍ وإعوال رياح

الأمـيـر

هذه القمراء أحلام صبيه
بزفاف وحصان خشبي لصغير
شد ما نال من النهر الظما
وعلت سود الليالي هرما
آهِ لو يسقط جبار ويُغتال أمير

دمـوع

طرحة التل وفستان القصب
لعروس النيل والقطن الذهب

الأمانيُّ تهاوت أنجما
وقلوب الغيد أضناها التعب
ومضت في دمع (إيزيسَ) الحقب

الأجل

طاف بالليمونة الزهراء طفل
واعتلى الجميزة العجفاء كهل
نفَس حانٍ وذكرى تتأرج
والبذور السود في الظل توهج
آهِ لو يمتد بالغصن الأجل

العشاء

مَن لعشاق صغار يضربون
في شعاب الظل والروح قرير
موقد الشاي وإبريق نحاس
وعشاء فوق مهد من حصير
كل ما يبغون من فضل الكريم

الساقية

آهِ لو تحملنا ريحٌ رُخاء
تطفِئ الجمر الذي يوري السهاد
وتعيد الأرض أمًّا
يظمأ الراعي فتدنو الساقيه
والسموات بساتين غناء

البنفسج

أترى يسري بنا نهر بنفسج

وتراعينا عيون الياسمين؟

علَّها تأسو جراحات السنين

وتعزينا عن الحلم الدفين

يوم كان الحب روحا يتوهج

الحلم

يوم كان الحب قمراء وزورق

هائما في ألق الموج يغرد

وأراجيح حنان وأمان تترقرق

لا الهوى هان ولا الشمل تفرق

فلماذا راعنا المقدور والحلم تبدد؟

دموع

حسرتا أن سقط الفارس والنهر تجمد

والسموات دموع الأمهات

أى أقدام هوت تحت الرماد؟

أي أيد وقلوب لم تصفد؟

غدنا الأوهام واليوم شتات

٨يونيه١٩٩٣

القطاف

شد ما غشّي أماسينا السأم
واستبدت بالنهارات الرِّيب
وخط الشيب رؤوسًا أينعت
من شباب لقطاف من لهب
فتلقته أياد للعدم

القرى

طالما باعت قُرانا بعذاب
واستخفت بأمانيها المدن
ثم باحت بالذي أدمت شراك
أدمعا حرّى.. ضراعات تئن
جثثا غرقى بقيعان الهلاك

الغضب

و(الحواري) انفطرت من غضبٍ
بين(بولاق) و(شبرا) و(الخفير)
مات مملوك وأحياه أمير
فتداعت تحت إعوال النفير
حمما تغلي.. براكين تثور

القهر

ويلتا من طارق الدهر ومن قهر البشر
كلما حرر شعب روحهُ
من هوان سرق الباغي المطر
والذي ولّيَ فينا أمرنا
سمم الآبار واغتال الشجر

٩ يونيه ١٩٩٣

التاريخ

كل أرض أنبتت مر الحصاد
كل أفق صار قبرا للطيور
حاضر شاج وتاريخ معاد
في صراع بين وهم ويقين
فمتى ينبلج الصبح المبين؟

الطلل

سكت الناي فما آب مسافر
لا ولا جرح على الصبر التأم
هذه الأنسام روح تتألم
من خواء الفكرُ.. من بؤس القلم
طلل باك وأوهام لشاعر

المنادي

كلما نادى مناد: أدركونا
قبل أن يسقط سلطان مقيم
قال فلاح فصيح جائعٌ:

(لا أذود الطير عن شجر

قد بلوت المر من ثمره)*

أحمد عرابي

جادنا الغيث عميما فلماذا

يدع الحَر ويسقى الإمَّعه؟

مات مغدورا (عرابي) وطوتنا الزوبعه

فمتى تهدأ روح الفارس العاني الطريح

(والخديو) القاتل المأجور يلقى مصرعه؟

بغاث الطير

وإلاما يركب الموج إلاما

خائن من نسل (عبس) أو (يهوذا)

والحواريون أيتام؟ لماذا

تعتلي الأفق من الطير بغاث**

والنسور الغُر ترتد يماما؟

---

* من شعر النواسي

** بغاث الطير: بطيئة الطيران على نقيض النسور .

الرحيـل

ياصَبا مصر لقد طال الرحيل

فليكنْ مسراك بردا وسلاما

في صحاري الروح، واستسقِ الغماما

مطرا يروي بنا هذا الغليل

شجرا يدحو لنا الظل الظليل

ريح الصبا

وانشري نفحك ياريح الصبا

ألقا يلهم حادينا السبيل

فرحا يشفي أسى القلب العليل

علنا نجنى القِطاف المستحيل

ونعيد الشوق للروح الكليل

المصير

إن يكن أُغرق ملاح فما زال السفين

حاملا ألف صحابي أمين

سوف يحيون ويغزون المنايا

ويعودون فيفشون السلاما

لم يزل يبزغ نجم ويناديننا مصير

العظام

قد عفا (المربد) وانفضت(عكاظ)

غير أن القوم مازالوا سكارى

يتلهون بتطيير الحمام

وبنو صهيون أكباد غلاظ

يتباهون بتكسير العظام

المقدس

من ينم يصح على ناقوسهم

قارعا دقات شيطان رجيم

من يقم يغف على معولهم

في ثرى (المقدس) يهوي ليقيم

باطلا إفكا لجبار أثيم

الحجر

مَن لطفل في ربى(الضفة) يرمي

حجرا يرجم كيد المعتدين

حجرا يفقأ عين الصامتين

من بني الكهف شعوبا وقبائل

آثرت نفطا على مجد المقاتل

الوكر

يتداعون على الآبار زُلفى
لنبي كاذب طاغ أشِرِ
بيته الأسود وكر لأفاعٍ
تنفث السم زعافا، والبشر
شاربوه كلما ارتد بصر

الرواية

هل سيحكي من أتوا من بعدنا
عن غوايات تآمرن بنا؟
كل ذي وجه مريب يؤتمن
ويدارَي كل شيطان مريد
ثم يُرمي بالدنايا من يوفِّي بالعهود

الضريح

يصرع الباغي بريئا ويمنّ
أنه كان رحيما بالعباد!!
فلقد أحسن قتلا للذبيح
فمضى للخلد والحمد لمن
جعل الجنة للقتلى ضريح!!

الأكاليل

كل من يجترح الإثم يثاب
ويولّي كل من يتقن جرمه
يستوي الغاوي بمن أرسى القباب
ويسام الويل من ينصر قومه
والأكاليل تتوِّجن الذباب

البيدر

في الضحى.. في الأمسيات الساجيه
تغمض الوردة عينيها وتبكي الساقيه
فأوان الحب قد حان ولكن
غلة البيدر والقطن الذهب
بين أيدي من غلب

ثورة العشق

يتشاكى العاشقون
كل عصفورين ناما
واستفاقا ثملين
خمرة الصياد والكرم المرير
من لحُرٍّ لأمانينا يثور؟

الهودج

في شذى الحقل وهمس الجدولِ
يتهادى الهودج الأحدب في غير أوان
و(دعاء الكروان)
رجْع ناي معولِ
أي ذنب قُتلت فيه(هنادي)*

نيرون

تسطع القمراء حينا ويغني الطاغيه
وعلى الأمواج (روما) الغانيه
تكتسي أزهى غلالات الشفق
لم يكن (نيرون) إلا قزِما
شاء أن يغدوَ ربا فاحترق

حرية!

ما لأرباب زمان الفاتحين
حُجُبَ الغيم يضيقون بنا
أن تمردنا على نعمتهم
هذه حرية أم نقمةٌ؟
زينة القول وفعل العاجزين!

---

* من وحي قصة (دعاء الكروان) للدكتور طه حسين.

الزاد

أين.. لا أين زمان لحوار عاقلٍ
بين أنضاءٍ حيارى مغرقين؟
كيف تقوى لغة المستضعفين
أن تحيل الروث زادا للبطون
وتغنى بسجايا الحاكمين؟

العلل

الشعارات- وما أدراك ؟ هل
أشبعت جوعى مساكين عراه؟
والحضارات وما قد سفحت
من دم الأحرار واغتالت أُباه
أوجه بيض على سود العلل!*

ليس بد

ويقولون يقولون لنا :
ليس بد من تَخَلٍّ ليس بد
عن غذاء ووقاء للجسد!
إنما الدنيا عناء وكَبَد
والغنى كل الغنى يوم نردّ!

---

* تحوير لبيت بشار بن برد :

والبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

لاتموتوا

أيها الشاكون أعباء الحياه
لاتموتوا ليس عنكم من غنى
إن تخليتكم فمن يسقي لنا
جنة القصر ومن يُجري السحاب
مطرا يهمى نضارا فوقنا؟

من وسلوى

فأذنوا بالأجر أضعافا فمن
يصطبر يلْق نعيم المتقين
خُلق الصبر لكم منّاً وسلوى
ولنا ما سال منكم من عرق
ودم صار يواقيت لنا!

الجزية

حسبنا اليوم تؤدون لنا
جزية عن حربنا أعداءكم
نحن أوصدنا عليهم كل فج
فاصطلوا جمرا تبقّى بعدها
واصبروا فالصبر مفتاح الفرج!

فروسية!!

نحن فرسان الزمان المرتجى
بعد آلاف القرون الهمجية
حُرم القتل علينا علنا
وأبيح النهب سرا للرعيه
فاحمدوا الله على ما جاءكم!

النصح!!

نحن أُمِّرْنا عليكم فأطيعوا
تدخلوا بالحب جنات الخلود
واسمعوا النصح الذي نزجي وعُوا
تبلغوا الفوز بإحدى الحسنيين:
صمت حي أو ممات لشهيد

الحكمة!!

هذه سُنَّتُنا في العالمين:
حكمة الصين وقانون القرود!
فاخسئوا أو فانتهوا عما يشين
من جدال بين وعي وجنون!
خير ما في هذه الدنيا المجون!

حوار!!

الحوار المبتغَي حتى نقر
إن يكن لابد من عقد الحوار
أن يكون المبتدَي منكم سؤال
ويكون المنتهَي منا الجواب
قسمة عادلة بين البشر

رفقاء

أن تصونوا بالمنى أرواحكم
لنصون الود والعهد لكم!
إنما أجسادكم ملك لنا
لتعينونا على أرزاقكم
إنما نحن وأنتم رفقاء!

١٢ يونيه١٩٩٣

وجاء زمان

تعاقبت السنون العجاف
تعانقت الأوجه الكالحات
وجاء زمان الكلاب السمان
فشمر للموج باغ جبان
وبدل من جلده الأفعوان

الوجد

تبث مواجدَنا سعفات النخيل
إذا الصيف ألقى مراسيَه، والكروم
تناجي سواقيَه، والعيون
تَلامحُ بين المراسي وبين السواقي ، ويحكي النسيم
لفتياننا في القرى قصص العاشقين

دنشواي

وأبراج هذا الحمام القرير
تطل على شجن الأمهات
كأن القرى لم تزل (دنْشواي)
وعزف الشواديف أصداء ناي
(لحمدانَ) يوم تهاوى الرفاق

الويل

حرامٌ على الأمهات النحيب
إذا ما تيتم أطفالهن
وويل لمن خانهن الوجيب
فجيران أكواخهن السُّراه
يودُّون نوم الخليِّ وحلم السعيد!

الفردوس!

يريدون أن تتناءى السماء
بعيدا عن الأعين الحاسدات
لئلا تقاسمهم في الضياء
لتبقى السموات فردوسهم
وإلا لما كان غزو الفضاء!

انتظار

هي الأرض ضجت بأوزارنا
وناءت بما حملت من وعيد
أما زال بين ثنايا القبور
سراديب مفتوحة للمزيد؟

استجداء

وهل يُسكِن السابحون بوادي القمر
بَوَادِيَه والربى بعضَنا
ويبقى لهم منه خضر المروج
فقد ملّت الأرض من ظلنا
ولم يبق منها لنا موطنٌ؟

في العراء

فإن لم يَطِبْ للجوار الفضاء
فهل يأذنون بإيوائنا
عظاما تخصِّب وديانهُ
فقد ضاقت الأرض عن دفننا
وباتت مقابرنا في العراء؟

التخلي

قوافلنا خرجت في الضحى
وخلى لها المجرمون السبيل
فلما انجلى الليل عن فجرنا
أحيط بها فتخلى الدليل
وباع المرابون أبناءنا

١٤ يونيه ١٩٩٣

بعد الصهيل

وباتت خيول لنا كالنعام
تبدّلن بعد الصهيل البغام*
ألا فاسقنا راعفات القداح**
لعل مساجدنا لاتُباح
وأغلى حرائرنا لاتُباع

اسقنا

ألا فاسقنا ناقعا من سُمام*
لئلا نرى حلمنا في الرغام
ونصبح أضحوكة العالمين
حوانيتنا زينة للصنم
وأيامنا ورق من حطام

---

* بغام الناقة: صوت لايفصح به
** رعف الدم : سال فهو راعف ورعاف

الندم

ألا فاسقنا الكأس من قبل أن
يغولَ زمانُ القِلَي حُبَّنا**
أغاني بطولاتنا تُرتَهن
دماء فدائيِّنا تُمتَهن
وترسو قواربنا فوق شط الندم

١٥ يونيه ١٩٩٣

* السمام : جمع سم
** غال زمان القلي: اغتال زمان البغض

القراصنة

وكيف بنا لانرى ما احتوت
فنادقهم واستباحت قصور
قلاع قراصنة غابرين
تبدلت الأرض.. غاصت عصور
وما زال أشرارنا الغالبين

قرابين

وما بالنا لانعاف الرمم
ونأكل لحم الأشقاء حيا
ونغسل أيدينا من دمٍ
لمن قام يطلب ثأر الشهيد
وتُزجى قرابيننا للصنم

أسطورة

ونوقد نارا لمشتى الملاء البطون
(وجاراتهم غَرْثَي يبتن خمائصا)
مناقير جارحة للصقور
ومائدة من شهى الجيف
كأسطورة نسجتها رياح الجنون

---

* من التراث وهو قول الشاعر في عصر ما قبل الإسلام :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

زخرفة!!

مزخرفة بالعظام الصحاف
بأطراف أطفالنا والنساء
ذهب (الرايخ) لكن القضاء
لم يزل يمطر ويلات الجحيم
في (سراييڤو) و(أرض الأنبياء)

طواحين

بويع الأفاق واختير المهرج
قاضيا يقطع رأس الشرفاء
مالفرسان الزمان الأشقياء
يستميتون دفاعا عن تهاويل منجٍّم
أو يعادون طواحين الهواء!!

١٨ يونيه١٩٩٣

التعلل

أما كان يمكن أن نتحول
عن العهد بعد رحيل الرفاق
فنفرح أكثر مما حزنّا
ونشتاق أكثر مما يئسنا ؟
أما كان يمكن أن نتعلل؟

الترجل

أما كان يمكن أن نتعلل
بطين القرى كي نحب المدينه
وننعم بالرغَد المشتهى
فنعذر أن نترجل
عن الصهوات الحزينه؟

ولكنه النيل

ولكنه النيل يجرفنا حبه المستبد
ويغرقنا ثم لاننثني هائمين
بمسراه في ألق (القاهره)
فكيف يراودنا بالحنين
فنعشقه في شحوب (الترع)؟

مصير

لستَ بالمصلوب في (الدلتا) ولا أنت رهين
لا ولا وَردك يانيل لنا الوشم الشجي
أنت نحن السائرون
لمصير أنت فيه السرمدي
زمن يقهرنا لانستكين

الحلول

(أحمد) المحراث والفأس يداه
وعلى (عائشةَ) الماء تحدَّر
شفقين. مقلتين.. وجنتين كالقمر
ومن البيدر نهد يتكور
فامضِ لاتسأمْ وإن جار القدر

الفجر

يزهر التوت مواعيد لعشاقك .. نجوى
أمهاتٍ.. وترانيم سَحَرْ
باحة (الجميز) و(الصفصاف) يحنو
لعذاراك أمانيٌ وسلوى
فاشْد للفجر وإن طال السهر

المريدون

وامنح الموالِ رفدا من عطائك
تسطع الليلات أعراسَ صبايا
وخطا الويلات ترتد مواسم
للمريدين وتنفضُّ المآتم
ثم يُنسى عبث الدهر بأبناء الملاحم

بهاء

كم توالى الظل والليل سجا
وتجلى الصبح فيضا محسنا
وتحلقنا حواليك ظلالا وجنى
فامنح الأعين نورا من بهاك
تجتلِ الدنيا سناء وسنى

الأكرمون

العيون السود تروِي من نداك
لغةَ الأوتار همس الخالدين
مجد (حوريسَ) وعدل (الفاتحين)
أيها النيل فداك الأكرمون
كلما هل من الشرق ضياك

خفقة

تسطع الأنجم شمسا في الحقول
وتراعيها عيون الياسمين
فإذا مال على الأفق النخيل
واكتسى الوادي غلالات الأصيل
خفق الغرب بذكرى الراحلين

العادلون

نحن مشكاة لمصباح الهداه
كلما عاث بوادينا الظلام الوثني
دقت الأجراس واستعلى الأذان
ليقوم العادلون
يمحقون الجور والباغي الشقي

الأقدام

كلما غاصت بشطآنكَ أقدام العراه
أورق الطين طيورا، أزهر الرمل مياه
فلماذا يستوي الواهب والغاصب فينا
ثم يُعْطَى صاحب الشيطان من رزق العباد؟
ولماذا لم تعد يانيل قبرا للطغاه؟

-•-

العودة

ويعود الغائبون
زُمرا تفدي ثرى الوادي الأمين
وطنا يحتضن المستضعفين
والصحاري تترامى خندقا
من لظى يلقف خيل المعتدين

الأفاعي

أيها النيل لك العهد لك الوجد الدفين
كيف ترتد ضحايا وجُناه
شجرا يمتد غِسْلينا وجمرا
ثمرا ينفث سما لأفاعٍ
تتلوى تحت أقدام الرُعاه؟

ما بأيدينا

كيف ترتد عذابا خطواتُك
ولياليك تهاوى حسرات؟
ما بأيدينا هدمنا ما بنينا
إنما أيدي اللصوص الواغلين
وتغابينا فحقت لعنات

الشجر

لست يانيل لنا مبكى ولا
أنت نبع لشقاء سرمدي
أنت سر الحكماء الصامتين
وزمان الضعفاء القادرين
أن يعيشوا ويموتوا كالشجر

الرحماء

ربما ضاق بهم مجراك حتى لم تسعْهم
بعد أن أصبحت قبرا للعناه
الألى أجروك ريا للظماء
وأقاموا لك أعياد الوفاء
كيف لم ترع البنين الرحماء؟

تحتهم تجري

كيف يانهر العطايا والخلود
تسبغ الحمد على رب الجحود
والمرائين المرابين القعود
عن فداء لك في يوم الوعيد
تحتهم تجري وفاء للعبيد؟

أسرار الوجود

تحتهم تجري كأن الموت عيد
والقصور الشم أغنت عن قبور
للمماليك وعن كوخ الفقير!
فمن الساقيك ترياق الحياه
ومن الواهب أسرار الوجود؟

البيعة

هل لنا من عاصم يوم البلاء
غير غوث لمساكين وتحرير أسير؟
أي بعث؟ أي تحقيق مصير
والمماليك على السفح نسور
والرعايا بايعوا اللص أمير؟

-•-

الملأ

جمع الغاوون للباغي وولوه اللواء
واصطفاه الملأ الموصوم ربا للخلاص
فتنادى أولياء الدم: ذا يوم القصاص
لضحايانا وقد حم القضاء
ضحك القاتل والتاثت عقول الحكماء!

-•-

النطع

بين حدين لسيف مال مهوى العنقِ
سم أفعى ونضال الورقِ
ما الذي تختار للنطع السعيد!
دمك الراعف أم دمع الهوان؟
أيها المغرَي بورد الشفقِ

ضريح

أيها المغري بحصد العرقِ
حان أن تستوفيَ الأجر الحرام
فلك البنك لك الإفك الصريح
كلما أطلقت سهما في الظلام
شيد الباغون للنور ضريح

الطارق

ما الذي يُطلق في الظلماء شدو الكروان
فيحيل الأرض شجوا والسموات نداء؟
أتراه جاء من عالم ما قبل الفناء
قمرا من نغم الذكرى وزهرا من حنان
للمحبين الحيارى والعناة الأسراء؟

دعاء

أم تراه جنة الصفصاف للماء المَعين
ورحيق (التوت) في الأغصان والظل الظليل
ودعاء الزارع المكدود أن يجني الحصاد
قبل أن يغتاله الجاني ويرعاه الجراد
قبل أن توصد بابَ السوق أشباحُ الكساد؟

إيزيس

لم يكد ينداح صوت الكروان
في بساتين الفضاء السرمدي
لم يكد حتى سرى مثل الحنين
صوت (إيزيس) من الغرب نقيا كالندى
ومضيئا مثل أحداق عيون العاشقين

الفيض

رف مشتاقا إلينا كروانيٌّ الصدى
لامكانٌ لازمانٌ لامدى
غير مفتاح الحياة الأبديه
في يد الربة عذراء الخلود القُدسيه
فاض من أدمعها النيل ينابيع خفيه

إسراء

يصل الأرض بالسماء صفاءً
والشذى بالضياء والأنداءِ
ويبث المحزون أى عزاءِ
فإذا الفجر كالنوافير فيضٌ
من أفاويه غابة عذراء

الفرح

أىُّ روح خطرتْ مثل النسيمِ
وشدت أشجى أغانى الكروانِ
ياله من طائف يغشى السكون
أملاً من بعد يأس وضنى
فرَحا يشفى مرارات السنين

صلاة

وإذا الكون معبد للصلاةِ
والتسابيح دفقة الكائناتِ
الغمامات والربى في لقاءِ
كل روح ترف فوق الماءِ
كل ذي خافق كومض ضياءِ

رنة الكروان

المصابيح أنجم في السماءِ
تتهادى ليلا على استحياءِ
والأمانُي والشجون سجالُ
بين نعمى وبين بؤسى توالى
دفقات في رنة الكروانِ

النخيلات

والضراعات في المدى تتعالى
خافقات إلى سماء الأذانِ
والنخيلات في العشيات بوحٌ
بالذي آنستْه من أضواءِ
والذي كتَّمته من برحاءِ

السواعد

وإذا لم تستحل سمر السواعد
وجذوع النخل أعواد مشانق
للنواطير الألي اغتالوا الكروم
فجرت فينا السموات صواعق
ثم لم يبك علينا القادمون

المناجل

يصنع الموتَ هوان القادرين
أن يقوا الأرض من العشب الرجيم
أن يقوا النيل من الوهم العقيم
وإذا لم تَدع الأيدي المناجل
تقطف البغى فمن يجني السنابل؟

من يميت الموت فينا

وإذا طاب لنا الصبر الذليل
وانحناء الظهر زلفى للطغاه
فمن الحر الذي يجلو الهموم
ويميت الموت فينا ويحول
دون أن نرتضيَ الهَون حياه؟

مقاومة

إن غزت (حابي) الأفاعي والطحالب*
وعلت أسوارنا شقر الثعالب
كف تشجينا الحكايا والملاحم

---

* حابي: إله النيل في الميثولوجيا الفرعونية

والثرى يصرخ والماء يقاوم
والجبال انفجرت تهوي رواجم؟

الأعراب

قالت الأعراب آمنا ولم
يؤمنوا ساعت دعاواهم سبيلا
فانفروا كي لاتعودوا غرباء
فوق واديكم شتاتا غرماء
ضل من يتخذ الأعمى دليلاً**

الأيدي الرجال

كيف ضعتم؟ لم تكونوا لقطاء
لم يكن شاعركم أجوف مأجور الغناء
كانت الأيدي رجالا
كانت الأقدام بحرا من دماء
وانتصرتم فغدت طيرَ السلام الشهداء

** تحوير للبيت التراثي :

أعمى يقود بصيرا لا أبالكمو قد ضل من كانت العميان تهديه!

حرية

أينما كنتم تولُّون الوجوه
كانت الصحراء تُطوى كالسِّجل
والينابيع تغني للأمل
حرة لاقيدَ إلا ركبكم
حولها بين شعاعات وظل

أحباب الحياة

لم يكن زامركم يطرب من أهل المدينه
غير جند الحق أحباب الحياه
كيف أصبحتم نواعير حزينه
لاتصيخ السمع إلا للطغاه
وعيونا لاترى إلا الجُباه؟

الينابيع

طلقة كانت ينابيع الربيع
الأغاني البيض والشمل الجميع
فوق شط النيل والريح رُخاء
قُبَلٌ وسني وأطياف عذارى
لاعناءٌ لاسهاد لادموع

الخريف

كيف بالله غدونا شجرا
يابسا يحطبه الغرُّ الخئون؟
إن بعثنا في دجانا قمرا
أدركته بالأراجيف الغيوم
ورعت وادِيَنا ريح الخريف

والأغاني وطن

أقبلي.. ليس هذا السديم
شرفة العاشقين
ليس مأوى العصافير بين النجوم
واستظلي بعش قديم حميم
بعض ريش وطلّ
نفحة الياسمين
علّنا بعد هذا الوجود العقيم
والسماء الطلل
نلتقي في احتضار الشجن
في اخضرار الوطن:
للنشيد الضحى
والمساء نجاوي.. قُبَلْ
حاملات القرابين تحدو
طيور الأمل
والذي لم يزل حلمنا
كلما طوقتنا الأفاعي أهلّ
فرسا جامحا.. ألف حبل
جبلا عاصما
حين أهدى لنا حبنا
جاوبته الحنايا سلاما

لك العشق والشوق يانيلُ
لاترتحل

-٠-

لك أن تنشقِي
عبق الناعمين
لك أن تنشدي
غير ذكرى الحنين
حلوة مُرة لاتهون
كالمدى كالردى كالجنون
غير أن الذي لن يكون
أن تكوني عذاب السجين
ومرايا السنين
بين غاوين أغروا بنا قاتلين
من بقايا ربابنة غاربين
أطعمونا رياح السموم
أسلمونا لصوص السفين
ومضوا حاشدين
دم عانٍ أجير
دمع طفل ضرير

-٠-

واقف أرتقي صهوات الرحيل
عازف وتر الهاربين
بين رمح الفضا
وحراب النخيل
سيفي َالمنتضَى
فارس في الغيوم
رحمةً.. صوبي طلقةً
في الشتات الجحيم
قبل أن تنطفي
ذكريات سهام العيون
وليالي السهاد الجميل
وتعود الحْقيقة إفكا وتغدو
بحيرتنا جثث الأنبياء
والأناشيد جُوفا هواء
مطرا راجفا فوق ربع خواء
شجرا زاحفا باحثا عن كفن
لجليد المحن
للضمير المَوات
والجحيم الشتات
-.-

كيف أمست دماء حروفي التي
أودعَتها شجيرتَنا في الحديقة كنزا يداك؟
أترى أُنسيتْ تحت قصف الرياح
وغدا خافقي قبضة من سماد؟
أم ترى أدركت شهر زاد
لفحاتُ الصباح
فاستحالت حروف دمائي
بكف الليالي رماد
وقصيدي نواح
حفنة من دخان
ووعاء الزمان الخئون
لفَّها؟ أم غيور رجيم
أضرم النار في كنزنا المستباح
أضرم النار في دمي.. واستراح؟
نحن عبء الهوان
ورِهان جواري الأمير
فوق أطلال هذي القرى النازفه
إن أوهى البيوت
سكن العنكبوت
فاهبطي من علٍ ربما

بللت خدك المستهام الأسيل
أدمع الأمهات
فارتضيتِ الرجوع إلى الذكريات
يوم كانت لنا أمنياتٌ تؤام
ثورة تمحق المدن المترفه
وتغني الفدائيُّ لحن السلام

-.-

ذكّرى بي الطريق.. العناق الأخير الصباح
رفّة الفاحم المتهدل في الكتفين يضيء يديَّ

.. القوام المثير
رقصة الطائر المستطير
تحت غيم الرواح
ملأت مقلتاك علينا المطار
مرحا شاجيا.. قمرا ساجيا
شجنا لاهيا.. أنجما
نغما حالما
خطوات قصار
واستبد الحصار
عزّنا بوْحنا.. فالحوار

قسمةٌ.. لغة لليدين.. العيون ..الشفاه
واستضاء المدار
الضحى بيننا ضحكاتٌ.. دموع حِرار
وأنا أنت– تحت الندى والرحيق الحريق–
نهب أيدي الفراق
ظِل نجم هوى
وبقايا جراحٍ.. محاقٍ.. عناق
وطوق النجاة يغلل أعناقنا
ناحلات ووكر الأفاعي اعتلى ظِلّنا

–.–

قمري موغل في السُّرار
نجمتي دهشة وانتظار
زهرتي لستِ أنت .. أنا زهرتك
كلما قربتْها يداك انثنت
نحو هذا العبير الصَّبوح
من رواب تسمى وطن
وردة فوق قبر الزمن
وردة للعشاء الأخير

–.–

أين أنت التي رحلت كي يقيم

طيفها في السهاد
صيفها في شتاء الرماد
رحمتْ كي يعود الحنين
زاد مضنى فقير
في ليالي الخريف القرير
شعلة في الزمان الضرير
مرفأ للشرود الغريق

-•-

طفلة ماتزالين؟ أم
بعد عشرين شيّب قلبك ما اغتالني
ورماني هشيما لديك
تحت عصف الرياح اللواقح بالحب نارا
وبالنار بردا سلاما
لقلبي ودارك ليست قرارا
وداريَ أمعنتُ فيها فرارا
لألقاك وهْما وهمًّا
وتلقى خيالي الذي عاد حلما
يناجي فضاء الضليل
رجعة المستحيل
والبلاد التي أورقت في يديكِ

تضاجع أعداءها
ثم تلقى بنا للسراب
وتقيم علينا صلاة الغياب
-.-
غنني ياحمام المغيب
دمعة تستضيء عليها الليال
شمعة.. وردة للحبيب
غنني فاصلا نازفا
واصلا للوجيب
عازفا راعفا بدماء الحنين
-.-
يازمان الخليين أقصر.. لقد شاقني الشجوُ
إن المنيَّات شجوا حياه
والأماني التي راودتنا صلاه
والأغاني سماء.. رواب
يدان لأم تناغي وليدا
شراع على النيل.. منديل حب
وأصداء ناي بعيد.. بعيدٍ
وطن

٤ يوليه ١٩٩٢

معزوفة وداع

(في رحيل الكاتب الجزائري طاهر جاوت ضحية للإرهاب الأسود وشهيدا للكلمة)

تلثم الأطفال خد القمرِ
والأراجيح غصون الشجرِ
ودوالي الثمرِ
في أعالي (تيَز وزُّو)
والمغني يُرهف الأوتار زلفى
لسقوط المطرِ
غير أن الأمهات
لايُراعين الصغار الجامحين
إنما يسكبن نهرا من دموع
والسموات رياح عاصفات
بروابي التين والزيتون والأرز حزين
وعلى وجه البساتين دمٌ
خضب الأمواج، والحصباء في الوادي تفجّر
صرَخاتٍ ونداءاتٍ حيارى ضارعات
أين (طاهر)؟

—•—

كان بالأمس شعاعا حالما فوق الربوع
ملَكا في ثَوْبِ طفلٍ باسم الثغر صبوح

كم رأته السحب البيضاء يعدو في المروج
خلف أسراب الفراشات وقطعان الشياه
ورعته الشمس والأنجم والظل الظليل
كم بكى للطير إذ يهوى وقد هيض الجناح
وهفا أن يعتلي الأفْق ويسرى كالرياح
أتراه كان يدري أنه يوما سيلقى
مصرع الطير الأمين
فجأة وهو يغني للغصون
بغتة وهو يذود القاتلين
عن حياض الوطن المضنى الحزين؟
أين منه اليوم هذا الجسد الدامي الجراح؟
أين (طاهر)؟

-.-

حينما شب عن الطوق انتضى حرَّ اليراع
مبحرا يحدو إلى الشط الأغاني والشراع
وهو يستحيي دعاء الأمهات
وحكايات لجدات ثكالى:
(أحمدٌ) الطالع كالبدر على سفح الجبل
لم يَعُدْ غيَّبه المنجم فى كهف الشمال
(عُمَر) الموعود للمجد مضى

يوم أن أشرق(نوفمبرَ) يفدي العَلَما
لم يعد.. ناداه ركب الشهداء
فاستجابت روحه الظمأى وجادت بالدِّما
كم روى(طاهر) أصداء الحكايا
في تجليات وعي لم ينم
وشعاعات ضمير لم يساوم
هذه الأصداء والأطياف تسري حولنا
تتغنانا.. تناغي حلمنا
وستحيي في حنايانا ولكن
أين (طاهر)؟

-•-

الفدائيون من أبنائه الشمُّ الجباه
أدركوا الموت على أيدي عدو غاصبِ
كيف يغتال جناة من بني الأم الحياه
باسم دين الحق والدين براء؟
كبرت دعوى افتراها وهْم غاو كاذبِ
إنما كان شعار (الله أكبر)
آية الصبر وبشرى لمحرر
دمه الطاهر في أعناقهم
هؤلاء المارقون السفهاء

دمه الحرية الخضراء لايقوى على
وأدها طاغوت هذا العصر طاعون الوجود
السموات العلا
تغتلي سخطا عليهم
والرواسي بخطاياهم تميد
-٠-
كلما رددت الشطآن والوديان صبحا ومساء
أين (طاهر)؟
هتفت كل الحناجر
صرخت كل الضمائر
وتنادي وطنيون رجال وحرائر:
نحن (طاهر)
نحن (طاهر)

٦ يونيه ١٩٩٣

إضاءات

* طاهر جاوت: كاتب روائي وشاعر جزائري له أربع روايات ومجموعتان من الشعر، وقد حصل على جائزة البحر المتوسط١٩٩٢ عن روايته (الحراس) كما نشر له بعنوان (مدينة الشمس) حوار مطول مع الكاتب الجزائري مولود معمري الذي كتب طه حسين دراسة عن روايته (الربوة المنسية) ورأس تحرير صحيفة (القطيعة) الأسبوعية التي كانت تصدر بالفرنسية وعلى صفحاتها ندد بالمنظمات الإرهابية التي تتخذ الدين ستارا لها، فانتقمت منه باغتياله ولما يبلغ الأربعين من عمره في ٢٨ مايو١٩٩٣.

* تيزي وزو tizi-ouzou: عاصمة ولاية في شمال الجزائر على البحر الأبيض المتوسط، وكانت تسمى بلاد القبائل، وإليها ينتمي الكاتب الشهيد.

* غيبه المنجم في كهف الشمال: إشارة إلى هجرة عدد غير قليل من شباب تيزي وزو وغيرها إلى أوروبا للعمل في مناجم الفحم والحديد ومصرع بعضهم في أحداث مأساوية .

* أشرق نوفمبر: إشارة إلى ثورة التحرير الجزائرية التي اندلعت في أول نوفمبر١٩٥٤.

* كم روى(طاهر) أصداء الحكايا: دلالة على استيحاء طاهر جاوت في قصصه وأشعاره وقائع الحرب التحريرية كما

استقرت في ذاكرته من عهد الطفولة من خلال حكايات الأمهات والجدات اللاتي عانين عذبات مرحلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار وشهدن بطولات المجاهدين التي شارك فيها النساء.

* وشعاعات ضمير لم يساوم: إشارة إلى تنديد الفقيد بالإرهابيين على صفحات جريدة (القطيعة) .

الفصول
(من وحي مأساة البوسنة)

هل يورق الخريف جمرةً
من السهاد أم أغنيةً
للحب حينما تبث حولنا الريح الشماليه
أنفاسها خابية عليلةً
أطيافها خافتة وئيدةً
يرتد ذكرى أفعوانيه
وقع خطا أشباحها خفيةً
ثم يموت فجأةً
فيُقطع الحوار بيننا
ينسدل الستار
لا أرضَ لاقرارَ لامدار
رؤيا ضبابيه
مفازة على المدى.. دُوَار

-•-

مَن لي بقلب يحتمي
بحلم ليلة من صيفنا الذي ارتوى
من مهجتينا زينة الليلات كانت
أين منا طيفها الحالم في بحيرة القمراءِ
آهٍ من عذابات النوى
ليلُ شتائي سجا
مجرة من السديم أطبقت

لاشمسَ تعلونا ولا قمر
نجم هوى
أصداء صيحات وراء البحر
من لي بقلب صخرةٍ
يقوى على صد مناحات الضحايا القادمين؟
-•-
تحطم الجسر الذي شدناه وصلا للمحبينا
وضل في سراه حادينا
خميلة الطير المغنى صوّحت أوراقها
أهدى إلينا وردة من دمها فراقُها
روّعنا عناقها
وغص نهرنا البهي بالجماجم المشوهه
عذراؤنا الشقراء بين مخلبي وحش رجيم
ملاعب الطفولة الغناء باتت أضرحه
وانتفضت تحت الرماد أجنحه
ضارعة تستصرخ الخواء
الأعين الجُوف تراعي المذبحه
صمُا سكارى لا أسى ولاغضب
والسيد المطاع فوق عرشه المحمول يعلك الخطب
تبت يدا أبي لهب
-•-

لن تدعَ القناعَ للوجه الجليدي الكئيب
شمسُ الضحى الربيعيه
أو يورق الخريف إلا صفرة الموتى
لعالم يرتع في مقاصر العراه
ويرفع المأجور والآفاق ربا للعناه
لاتفزعي
هذي النسائم النديات الخريفيه
تهدي وشاح النصر
للطالع الآتي من البريه
يهتف للحريه :
عروسنا المخضبه
فدى لك العشاق جيلا بعد جيل
طوبى لمن يجيء بعدنا
يحمل عنا الراية الملتهبه
ويصطفيك توأما للعدل فجرا للربيع
لاغيمَ.. لادموع
يا آية اكتمال حبنا الجميل كلما
آذنه الخريف بالمحاق يامعجزة الفصول

٦ سبتمبر١٩٩٣

وداعا علي شلش

هل يرثي نجم مشتعل قمرا؟
غصن مغلول طيرا؟
ما زلتَ معي
الليلة قُرْبَي ما أودعت
ما أبقى لي مَوَّالي نزْفُ ترأتيلي منك
~~ما أبقى لي موالي نزف تراتيلي منك~~
ذكرى ريحانتنا الفواحة في كثبان الصمت
حلم الجرح الغافي في البستان الحاني بالشوك
بين الشوق وبين الشك
وهديل حمام أخضر يهدم أسوار المقت
النجم الثاقب أنت
بك أسرى الفُلك على موعد
أن تَصدقنا العهد
لكن الرؤيا لم تصدق
والبلبل في قلب الفجر الفضي
يشدو شجوا: لم غاب(علي)؟
أنت الطيف النوراني
وطن الغرباء النهر المسحور المسجور شجًى
ياطير الوعد ويا رؤيا الغد

شمسا تجتاح أساطير الرعد
وسمادير البرق الخلَّب
مازلتُ معك
هل تسمعني؟
أم تسري في ضوء القمراءِ
تغني؟ أو تبكى؟
هل تبرأ منا؟
تمضي ما ودعت
إلا صخب الريخ الهوجاء وخشخشة الأعشاب
وتمائمنا البلهاء
في فردوس الإفك
وجحيم المأوى والمنفى
والأقنعة الحدباء
إنا- ما زلنا- جوَّابان معا
وادينَا تحت ذراع النهر
مجدولا بالأيدي الحَّرى الأيدي الأحرار
وأراك تحنُّ إلى نجوانا قبل الطوفان
وتشق فضاءات الرُّجعى
للطير الحائم فوق الصخر
للصخر الجاثم أعلى الموج العاتي

لايجرفه اليم
يُشجينا حلم الأرض الأم
بالأفق المضفور الغيمات بأضواء الفجر
وجُدُّ النخل الريان بماء الحب الصادي بالقهر
أشواقُ الظل الآتي
لرياحين البلد المحبوب وأنفاس الورد
لكنَّ صبيحة هذا اليوم الفاجع
كانت تخفي في عينيك الدمع
وتذيب بأوجهنا الشمع
يجلو ما غشّانا سمتُك
يهمي صمتك
مطرا يسقي شجر العصيان بماء الغفران
ملَكا يتوضأ مغتسلا بمسرات الأحزان
أو ينداح الكلِم الطيب
فيضا من أفياء التحنان
أو رجما للأرباب الأوثان
والكهان الكَذَبه
ما زلت تطوِّف في معراج الملأ الأعلى
تتلو الصحف الأولى
تشتاق إلى الأخرى

منثور صحوك غفوك أن يمحو
ما سطره الأفّاقون
أن تحميَ أهل الكهف
من قهر الخوف
ونواطير الزيف
تستعلن أنك نحن ولكنا
أيقاظ مثل خفافيش الليل
ورقود في أكفان الويل
هلع طمع مأساة ملهاه
أجراس الأفعى
ونواعير الحمقى
مازلت معك
ياطيرا كفٌ عن البوح
حين استرخت تحت الريح الأغصان
واستعلى فوق الروح الشيطان
مازلت معي
أقوى من هذا الجرحِ
ومن غيم النسيان
أُشدد بيدي..
من بئر البهتان الأخرق

لايغمرْك الطوفان
أيدينا
لا يلقفْنا المد
النجم الثاقب أنت
قد صدَقت العهد
لكن الرؤيا لم تَصدق
والبلبل في قلب الفجر الليلي
يشدو شجوا: لم غاب علي ؟

٥ نوفمبر١٩٩٣

جمال حمدان
- معزوفة المأساة والبطولة -

مسلةٌ أم مئذنه
أم عَلَمٌ حر أشم
وطائر يعود للقمم
مضرَّجا بالجرح في الفؤادِ
شاهرَ القلم؟
صبارة أم سوسنه
تحدت الوجود والفساد(١)
فاحترقت لكي تشع في الرماد كلما
تزاحمت أضداد
معجزة المخاض للعذراء :
يضاعَف الألم
ليسطع الميلاد
ويسقط الصنم؟
ياراحلا مضمَّخ الريشة والمداد(٢)
بالسحر والريحان والإنشاد
مجنح الجواد
إلى أكاليل البهاء والروابي الخضرِ
والجداول الرقراقة البيضاء

أنّي يطوّق اللهيب رأسك الوديعَ
سمتك المهيب
وأنت نبع النور قُدس الحرف فاغم الطيوبِ
أنت من فتحت للأمطار والأنهار والرياحِ
عالم الغيوب جنة الأشواقِ
موسم الحلول
وبورة المغيب للإشراق والإشراق للمغيب
فاتحة الفصول وردة الأوان
مواجد الصوفية المهاجره
إلى ضفاف الملك الإنسان
-٠-
أيتك الغراء بعدما اعتلت أوثان
وشاهت الوجوه ضلت الحداة والركبان :
ألا تكلم (الرجال الجوف والأرض اليباب)
وأن تناجيَ الصخور والنجاد والوهاد
في زمن المرتزقه
يؤكل لحم الشهداء تزدهي الإماء والخصيانُ
في أريكة السلطان
تغرد الغربان في حديقة الشيطان
تستأسد الثعالبُ

تَشامخُ الطحالبُ
ويحتمي بجرحه (حمدان)
ذرْهم لما هجرت
سحقا لهم.. (هم الجحيم)
والجنة المأوى الذي آثرت
ياصحوة الكلام غفوة الكلوم
غيمة المجاهدين حينما
تستعر الرمضاء تفرش الجراحات طريق الأنبياء
رميت في وجوههم
رماد بيتك المحّرقِ
محرابك المفارقِ
وعدت للمجهول خير عارفِ
وللثرى المحبوب ماقلاكَ
أنت عنه غير عازفِ
ياخيمة المعذبين حينما برئت
من شبق وحينما ارتفعت
في أفُق لم ترْقه ظنون
لم يبق إلا الجسد الصلصال تودِعه
ومضغة بين الحنايا خافق تودُّعه
إلى مهادك الذي أضناك وجدا ليلُه الطويلُ

والنهار راهب كليل
وليس غير رجفة النخيلِ
أنة السواقي والهديلِ
ليس غير البؤس والفأس وبأس المترفينَ
حنة الأرغول وانتفاضة الصفصافِ
عشق الطين يسقي الظامئين
حتى إذا ماد السفين
واستضحك القرصان والإعصار والطوفان
وأجهش الربان
هبت من النيل التماسيح العرايا في الجنوب
تشق قلب الموت تلقف التتار
قام الحرافيش الضحايا يشربون النار بالليلِ
ويعلون النهارَ الشمسُ تستهدي بهم فوق القناه
قامت متاريس على أجسادهم
فُك الحصار وارعوت ريح الشمال
وغاص في قمقمه الطاغوت
يعاقر النسيان والغفران(٣)
يزدرد الخذلان والأحزان
واستخفت الأفعى
-٠-

وكنت أنت النيل والترتيلَ
راصد المكان والزمانِ
حاديَ السراه
مثابة للعارفين
وغُصة للمارقين
هِجرتك الأولى إلى الحجار والرمال والسحاب
وحلمهم إلى سراب
هجرتك الكبرى إلى الفضاء لاقيودَ لاحدود
وعشقهم أعمدة الأنصابِ
عضة الأغلال للأعناق والصدور والأذناب
ياطول ما كابدت
ياطيب ما أبدعت
للأرض للتاريخ للشعوب كم أصغيتَ
كم غنيت
لحنا على ناي لفلاح فصيح
قصيد شاعر مقاوِم جريح
والآن للسماء للإسراء للقمراء
رحلتك الأخرى
عودا على بدء
نورا ولا فَيْء

ولم أزل أراك قرة الفؤاد زينة العيون
في زهرة العمر الجميل
في كلمٍ كالبارق الهتون
وفورة الينبوع تمحق الرمال
تفتِّق الأكمام عن براعم الخيالِ
تبسط الظلال للعطاشى تجتني
مواسم الجمال
تراك ماتزال تَجدل السؤال بالسؤال
مرواداً مروضا أعنَّة الغمامِ
كي تبوح بالجواب
فتجتلي أجنة المياه والكثبان
تصغى إلى الوادي يصلي والهضاب ترتجف
والنخل والريحان
تستلهم الريح الخريفيه
ظنك واليقين لا.. لايكذبان
وعْدك والمراد لا.. لايبغيان
مستعلنا أن الحياه
أقوى من الموتِ
تجهر بالصمتِ:
العار للطغاه

والمجد للمناضل الشهيد
وفي فؤادك الوضيء سرنا الخبيءُ
مرسوما على يراعك الأعلى
ياشاعر الجبال والبحار والفيروز والذهب
في (منَف) في (طيبةَ) في (المدينة المنوره)
في (الطور) في سيناء) في (مدينة الصلاه)
(سيزيف) أنت أنت لكن الحجر
على يديك يبلغ القمر
ويشتفي من عارنا يوشح الأطفال
بآية الفرقان والإنجيل
وسورة الأبطال

-.-

(النِّفَّرِيّ) مات مرتين
واستعجل (الحلاج) عودتك
تراك صافحت (المعريُّ) الحكيم
وزرت (جاليليو) التقيتما معا
فاهتزت الجنان فرْحا والملائك ازدهت
وأشرقت بك السموات العلا
يامَلَك الدارَيْن
عرج بنا إليك لايغب

طيفك عن عيوننا
أشدد بنا يديك
طوِّف على موئلنا القديم كلما سريت(٤)
هيىء لنا علالة من الشذى في روضتك(٥)
وبح لنا بالذي رأيت
إنا على العهد الذي أوفيت
نحن الصحابة المرابطون
نحن الحواريون
لاريب بعد الآن لاظنون لاجنون
قد أفلح الناجون من مباذل المجونِ
من مباءة الشيطانِ
من خيانة الأوطانِ
من تلون الحرباءِ
من عناكب الطاعون
قد أفلح الناجون
على طريقك الموطأ الأكناف لليقين
زاد قليل.. والجنى
لاينتهي.. لايُسترد
يا آية العظيم حين يُضطهد
يعطِي ولايمنّ
بما وهب

يسخو ولايضن
مدد
مدد
يمضي ولايرتد
عن قبضة الجمر الذي
أضحى سنًا أمسى جنًى على يديكَ
ياشفيعنا شهيدنا
في وطن مخلد إلى الأبد
مخلد معك
إلى الأبد

القاهرة ٢٥ ابريل ١٩٩٣

إشارات

(١) الكون والفساد مصطلح فلسفي قديم يعني ثنائية الوجود والعدم أو جدليتهما .

(٢) كان الدكتور جمال حمدان رساما إلى جانب العديد من مواهبه الفنية والفكرية .

(٣) إشارة إلى عيد الغفران(الكيبور) عند الإسرائيليين وقد وافق يوم احتفالهم به حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

(٤) إشارة إلى حي شبرا الذي جمع بيني وبين العالم الراحل هو وشقيقه الأكبر الأديب الشاعر محمد محمود حمدان رفيق المسيرة في بواكير الصبا .

(٥) علالة : بقية من الرحيق.

الفهرس

صدر للشاعر حسن فتح الباب

(أولا) دواوين شعرية:

١ - من وحى بورسعيد - ١٩٥٧ - القاهرة - دار المنتدى الثقافى

٢ - فارس الأمل - ١٩٦٥ - القاهرة - مكتبة الأنجلو

٣ - مدينة الدخان والدُّمَى -١٩٦٧ - القاهرة - وزارة الثقافة - دار الكاتب العربى

٤ - عيون منار - ١٩٧١ - بيروت - دار النجاح

٥ - حبنا أقوى من الموت - ١٩٧٥ - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦ - أمواجا ينتشرون - ١٩٧٧ - بغداد - وزارة الإعلام

٧ - معزوفات الحارس السجين -١٩٨٠ - دمشق - اتحاد الكتاب العرب

٨ - رؤيا إلى فلسطين -١٩٨٠ - دمشق - اتحاد الكتاب العرب

٩ - وردة كنت فى النيل خبَّأتها - ١٩٨٦ - تونس - الدار التونسية للنشر

١٠ - مواويل النيل المهاجر - ١٩٨٧ - القاهرة - دار الثقافة الجديدة

١١ - أحداق الجياد - ١٩٩٠ - القاهرة - الهيئة العامة للكتاب

١٢ - كل غيم شجر.. كل جرح هلال -١٩٩٣ - القاهرة -

الهيئة العامة للكتاب

١٣ - سلة من محار - ١٩٩٥ - القاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة

(ثانيا) مسرحية شعرية:

محاكمة الزائر الغريب -١٩٩٤ - دمشق - اتحاد الكتاب العرب

(ثالثا) سيرة ذاتية إبداعية:

أسمّي الوجوه بأسمائها - ١٩٩٥- القاهرة - مكتبة مدبولى

(رابعا) كتب فى نقد الشعر:

١ - رؤية جديدة فى شعرنا القديم - ١٩٨٤ - بيروت - دار الحداثة

٢ - شعر الشباب فى الجزائر بين الواقع والآفاق - ١٩٨٧ - الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب

٣ - شاعر وثورة - ١٩٩١ - تونس - دار المعارف للطباعة والنشر

٤ - سمات الحداثة فى شعرنا المعاصر - ١٩٩٥ (تحت الطبع)

اصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة

* ضمن اهتماماتها المتعددة بالنشاط الثقافى بمختلف أشكاله، تعنى الهيئة بإصدار عدة سلاسل من الكتب هى:

أولا: سلسلة «أصوات أدبية»

– مخصصة لإبداع أدباء مصر فى كل مكان فى الشعر، فى القصة فى الرواية.

– تصدر اسبوعيا.

ثانيا: سلسلة «كتابات نقدية»

– تواكب الإبداع الأدبى بالدراسة والتحليل، ولاتغفل النظريات النقدية والعربية والعالمية. وتفتح صدرها لكل فكر جاد يتسم بالطابع النقدى

– تصدر شهريا. فى منتصف كل شهر.

ثالثا: كتاب «الثقافة الجديدة»

– يتناول حياة أبرز المفكرين وأعمالهم وأدوارهم فى إضاءة العقل والوجدان ودراسة تحليلية لإنجازاتهم فى خدمة الفكر والإبداع العربى.

رابعا: سلسلة «مكتبة الشباب»

– تأخذ على عاتقها مهمة التثقيف العام بتقديم كتب مبسطة تتناول مختلف ألوان المعرفة.

– تصدر أول كل شهر

خامسا: كتاب الأدباء

–يهتم بتقديم الواقع الثقافى والإبداعى لكل إقليم على حدة ويُعد بمثابة بانوراما كاشفة لحركة الإبداع الأدبى فى أقاليم مصر.

– يصدر شهريا

سادسا: إبداعات:

– كتاب شهرى يهتم بنشر إبداعات الشباب دون الخامسة والثلاثين.

سابعا: ديوان الترجمة:

– كتاب شهرى يهتم بنشر الأعمال المترجمة فى الأدب والنقد.

رقم الايداع ٨٨٢٧/٩٥

الأمل للطباعة والنشر ت: 3904096